

مدى أربعين سنة استمرت جهود فرانس كيزك في ملاحظة رسوم الأطفال في المدرسة التي حارب طويلا طويلا من أجل انشائها ، واستطاع الكشف عن القوانين التي يستخدمها الأطفال في خلقهم . وبهذا الصدد يقول هريوت ريد الذي كان من ضمن المسهين النماليين في كشف قوانين وملامح رسوم الأطفال وآثارها التربوية : « ... كان كيزك اول من اظهر الفوائد الجمالية والنفسية في اطلاق المجال امام النوازح الخلاقة المتمثلة في الأطفال . فقد كان هو الرجل الذي اخذ على عاتقه المهمة الصعبة : أن يبرء القيم الجمالية للرسوم التي ينتجها الأطفال ، وخلال فترة الأربعين سنة هذه ، نهض تذوق للفن البدائي ، وساعدت التطورات الثورية في الفن الحديث على تقريب من الأطفال للمدى العام من الذوق الجمالي » (١٢).

وقبل نهاية القرن الماضي ، كان فن الأطفال ، موضوع العديد من الدراسات من جوانب متعددة (١٣) ، لم تلبث ان بعثت حركة اهتمام واسعة أدت في اعتاب القرن الحالي ، الى « اكتشاف » فن الأطفال ، فوضعت حوله العديد من الدراسات والابحاث والتقارير ، تناولت إنتاج الأطفال من جوانبه السيكولوجية والفنية والاجتماعية والتربوية وغيرها .

ولئن طبعت معالجات النصف الاخير من القرن الماضي ، الوصفية والتقريرية لاعتبارها بوجه خاص على الملاحظة الشخصية ، فان ابرز ما يميز جهود الباحثين منذ مطلع القرن العشرين ، اعتمادها على مناهج جديدة في البحث والدراسة ، تأخذ بالتجريب العلمي والمقارنة ، والربط بين عدة معاملات ، والخروج من اطار العموميات الى التخصيص والتخصص بجوانب محددة من رسوم الأطفال ، والبحث المقتن . كما هو الحال على سبيل المثال مع لامبرخت الذي جمع آلاف الرسوم للأطفال من مختلف الجنسيات ، خضعت لشروط مقننة ، كذلك كلابريد الذي تميز عن سابقه باهتمامه بالعلاقة بين الرسم والقدرة العقلية العامة خلال مراحل النمو المختلفة ، اينانوف الذي ربط بين ثلاثة معايير فنية ( الاحساس بالنسب ، الادراك الخيالي ، المهارة الفنية ) بالاستعداد العام عند الطفل وبجوانب اجتماعية وأخلاقية اخرى ، كاتزاروف الذي انصرف الى موضوعات رسوم الأطفال ، شايين الذي جعل الانسان موضوعا للمقارنة بين رسوم الأطفال من

كل الاعمار لكي يتوصل الى « مستوى مميز لكل سن » كرشنشتينز الذي أمضى عامين في جمع ودراسة مجموعة ضخمة من الرسوم ، وضعت في ظروف مقننة لكي يستنتج تقسيمات رئيسية وثانوية لهذه الرسوم ، جورج روما الذي قام بعدة تجارب هامة ، يعد كل منها فتحا هاما في مجالها ، كدراسة المقارنة بين الأطفال المتأخرين والعاديين ، ودراسات الاخرى على مجموعات صغيرة من الأطفال ، وقد جمعت تجاربه في ما يوصف بأنه « اقيم واكبر بحث فردي » في رسوم الأطفال ، دون ان ننسى جهود فرانس كيزك التي استمرت حتى عام ١٩٣٨ ، في الاشراف على مدرسة خاصة كان برنامجها « ان نترك الأطفال ينهون ، ويتطورون ، وينضجون » حيث لاحظ الاف الأطفال تراوحت اعمارهم من ٤ - ١٤ سنة ، وأدت نتائج العملية والنظرية الى انقلاب تربوي في طرق تعليم الفن للأطفال (١٤) .

ولا ريب ان هذه السلسلة الطويلة من التجارب والابحاث ، والتي تمتد في يومنا هذا الى انحاء العالم بأسره ، قد حققت قفزات نوعية هامة في ميدان تحليل رسوم الأطفال من جوانب متعددة ، لا سيما بعد ان كشفت هذه الرسوم عن قيمة شخصية باللغة الاهمية . فهي لغة الأطفال قبل ان تصبح لهم لغة ، وهي التي لا تعرف - حتى سن معين - الحدود والقوانين والثقافات ، فهي على سبيل المجاز ، طريقنا الى عالم الأطفال ، كما كانت رسوم الانسان البدائي في الكهوف طريقنا الى معرفته في عصوره السحيقة ، فهي لغته قبل ان يعرف اللغة المنطوقة والمكتوبة (١٥) .

ولئن وجدنا ان العديد من الدراسات التي تعنى برسوم الأطفال ، تنصرف في تحليلها الى اساليب ومناهج متنوعة التخصص ، فلان طبيعة هذه الرسوم التشخيصية تتيح لنا بأن نرى فيها سجلا متعدد الجوانب لحياة الطفل الاجتماعية والنفسية والجمالية والثقافية ، ولتجاربه وقدراته ، فنتعدد على وجه العموم الاهتمامات والدراسات تبعاً لذلك . اذ تنصرف كل منها الى جانب من جوانب هذه الرسوم ، مستخدمة في ذلك نهجا في البحث يلبي اهداف واغراض الباحث ، ويستجيب لنظريته الخاصة في رسوم الأطفال . هكذا وجدنا العديد من التجارب والدراسات قد قامت لاسباب تربوية كتعديل مناهج الرسم في مؤسسات التعليم . كذلك وجدنا من اهتم بدراسة رسوم الأطفال لاسباب